المحاضرة الأولى مدخل إلى الحديث الموضوعي سنة ثالثة كتاب وسنة 14 فيفري 2022

تمهيد:الحديث الموضوعي مصطلح معاصر، شاع في أوساط دارسي الحديث وعلومه في الجامعات حيث يقرر على طلاب الدراسات الشرعية كأصول الدين والشريعة والدراسات الإسلامية مقرر الحديث الموضوعي .

أولا :تعريف الحديث الموضوعي :

1- جمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد ثم صياغتها مع التعليق عليها وشرحها لتشكل موضوعا متناسقا.

2- يمكن تعريف الحديث الموضوعي في الدراسات المعاصرة بأنه جمع النصوص الحديثية المتعلقة بموضوع معين، من مصادر السنة، وتقسيمها إلى مجموعات بحسب عناصر الموضوع وفقراته، ثم دراسة الموضوع من خلال هذه النصوص، مع ضم ما يتعلق بهذه الأحاديث من الآيات القرآنية إن وجدت، وربطها ما أمكن بالواقع المعاصر رغبة في النزول بالبحوث والدراسات الشرعية إلى ميدان الحياة العملية .

3-هو العلم بموضوعات السنة النبوية المستنبطة من عموم أو بعض الروايات الحديثية، والمقارنة بين النصوص ومعرفة دلالاتها اللفظية الظاهرة والخفية، ومعرفة المتفق والمختلف منها، مع التوفيق بينها، لمعرفة تفاصيل الموضوعات الرئيسية والفرعية.

4-هو علم يبحث في الموضوعات التي تناولتها السنة النبوية الشريفة، والمتحدة معنى أو غاية، من خلال جمع أحاديث الموضوع من مصدر حديثي أصلي، أو عدة مصادر، أوفي ضوء السنة النبوية، بحيث يقوم الباحث بتحليل النصوص الحديثية المقبولة ومقارنتها ونقدها ثم محاولة ربطها للوصول إلى روح النص النبوي من أجل تطبيقه في الواقع المعاصر"

ويفهم من التعريفات السابقة مايلي:

1. أن هذا العلم يحتاج من الباحث الاجتهاد في فهم المراد من الحديث، لأن دلالة الحديث على الموضوع ظاهرة أو خفية.

2. ينصب جَهد الباحث في الدراسة الموضوعية على لفظ الحديث ومتنه دون سنده.

3. يتناول الباحث الجانب الموضوعي المستفاد من المتن، وذلك بتحليل متون الأحاديث والوقوف على معاني المتن ومضامينه وموضوعاته المتعلقة بأمور العقيدة أو العبادة أو التشريع أو الأخلاق.. وغيرها. لذلك قد يستفاد من العلوم الأخرى مثل: علم التوحيد أو التفسير أو التاريخ .... على سبيل الاستئناس والتوضيح.

4. يقوم الباحث بفهم واستنباط المقاصد والغايات من الأحاديث النبوية لهداية الأمة.

5. الدراسة الموضوعية تتناول الحديث النبوي سواء كان قولاً أو فعلاً أو تقريراً. وتعتمد على الأحاديث المقبولة- الأحاديث الصحيحة والحسنة بنوعيها- ولا تعتمد على غيرها إذ تقلل من قيمة وأهمية الدراسة.

6. الدراسة الموضوعية تتناول موضوعاً واحداً في السنة سواء كان في حديث واحد أو جملة أحاديث.

7. يستخرج الموضوعات الرئيسية والفرعية المستفادة من النصوص النبوية.

ثانيا:الفرق بين الحديث التحليلي والحديث الموضوعي :الحديث التحليلي يتناول بالتحليل والشرح جميع قضايا الإسناد والمتن بشكل تفصيلي، وهذا يعتبر مقدمة للحديث الموضوعي إذ أن الباحث لا يمكنه الاستفادة من النص النبوي دون فهمه والوقوف على فوائده، إلا أن الحديث الموضوعي يتعرض لبعض هذه العلوم بما يخدم خطة بحث الموضوع ويختار للتعليق والتقديم والتعقيب ما يتناسب مع طبيعة الموضوع .

ثالثا:الفرق بين الحديث الموضوعي والتصنيف الموضوعي :في دراسة الحديث الموضوعي نحتاج إلى التفريق بين تصنيف الأحاديث بمعنى تقسيمها حسب الموضوعات، وهي الطريقة التي سلكها العلماء السابقون، وبين ما يقصد به في الدراسات المعاصرة من جمع أحاديث في موضوع معين مع التحليل والنقد وتنزيل ذلك بقدر الإمكان على الواقع المعاصر . ومن خلال ماسبق يمكن التفريق بينهما من خلال ما يأتي:

1- التصنيف الموضوعي طريقة من طرق ترتيب الأحاديث في المصنفات الحديثية فلقد كان للمحدثين الذين صنفوا مصنفات الحديث بأسانيدهم طريقتين طريقة المسانيد؛ وهي جمع مرويات كل صحابي على حدة كمسند أحمد بن حنبل، والبزار، وأبي يعلى وغيرهم. والطريقة الأخرى على الأبواب الفقهية والتي تقوم على أساس موضوع الحديث بجمع الأحاديث ذات الموضوع الواحد في دلالتها وهذه الطريقة مثل الجوامع والمصنفات والسنن والمستدركات والمستخرجات وغيرها .بينما الحديث الموضوعي هو جمع الأحاديث من المصنفات الحديثية سواء ما كان منها مصنفا على طريقة الأبواب أو على طريقة المسانيد والتي تدل على موضوع واحد والتقديم لها والتعليق عليها من كلام الشراح والعلماء والفوائد التي يستنبطها الباحث ويسكبها في موضوع كامل مادته الأساسية هي النصوص الحديثية.

2- التصنيف الموضوعي قد يكون جمعا للأحاديث في موضوعات متعددة كالجوامع والسنن والمستخرجات والمصنفات، وقد تكون في موضوع واحد كالأجزاء الحديثية يترجم فيها المصنف للأحاديث بما يدل على بعض فوائدها وأحكامها؛ دون أي شرح أو تحليل أو تعليق للأحاديث .بينما الحديث الموضوعي جمع للأحاديث في موضوع واحد فقط توزع فيها الأحاديث حسب خطة الموضوع وتكون الأحاديث بعد عنوان ثم تقديم له ويتبعه تعليق وربط بالحديث الذي يليه بما يتناسب

و مورد الاستدلال.

3- التصنيف الموضوعي قديم ودراسة مبكرة بدأت بتصنيف المصادر الأصلية للحديث التي أخرج أصحابها الأحاديث بأسانيدهم ، ولما انتهي عصور الرواية وتم جمع الأحاديث بأسانيد أصحابها استمر المصنفون من علماء الحديث بجمع الأحاديث من المصنفات الحديثية الأصلية على طريقة التصنيف الموضوعي كرياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنذري، ومثل مصنفات المجاميع كجامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير، أو مصنفات الزوائد كمجمع الزوائد ومنبع الفوائد .بينما الحديث الموضوعي علم معاصر يعتمد في جمع المادة الأساس وهي الأحاديث النبوية على التصنيف الموضوعي بشكل خاص لكونها الأيسر في جمع الأحاديث، وعلى بقية المصنفات على طريقة المسانيد بشكل عام، لكنه ليس مجرد جمع للأحاديث بل تقديم لها وتعليق عليها وربطها ببعضها بعضا لتشكل موضوعا متكاملا.

4- التصنيف الموضوعي مجرد رواية للأحاديث بأسانيد أصحابها إن كانت مصادر أصلية، أو بدون أسانيد إن كانت ناقلة وعلى الأكثر يترجم المصنف للحديث أو لمجموعة أحاديث بترجمة كعنوان باب تدل على بعض فوائده . بينما الحديث الموضوعي هو دراسة شاملة لمجموعة من الأحاديث في موضوع واحد ويدخل فيه سائر علوم الحديث كتخريج الحديث بجمع المتابعات والمقارنة بين الألفاظ سيما إذا كانت الألفاظ ذات دلالة وأثر بالموضوع، ودراسة الإسناد والحكم عليه، وبيان غريب كلماته، والتعرض لمختلف الحديث ومشكله إن وجد، وكذا سبب ورود وإيراد الحديث هذا إن كان له علاقة بالموضوع وغالبا ما يكون، وخدمة النص النبوي خدمة كاملة بتعريف الأماكن والبلدان الواردة في الحديث، وتوثيق الآيات، والتعريف بالمبهمين، والغوص في كتب شروح الحديث، ولربما سائر العلوم الأخرى كالتفسير والفقه والعقائد والزهد وغيرها، والعلوم المعاصرة من علوم التربية والأدب والإعجاز وعلوم البيئة والطب والصحة وغيرها مما له علاقة بموضوع البحث، ليختار الباحث من جواهر العلم ونفائسه ليجعلها في التقديم للحديث والتعليق عليه .

5- التصنيف الموضوعي لا يشترط جمع كل أحاديث الموضوع إنما يجمع حديث أو اثنين أو بضعة أحاديث يدل عليها ترجمة وعنوان الباب .بينما الحديث الموضوعي جهد علمي هدفه بيان مقصد السنة في الموضوع الواحد إن لم يكن شرطه جمع كل الأحاديث الواردة في الموضوع، فشرطه جمع جل الأحاديث الدالة على خطة الموضوع والتي تتكفل ببيان مراد السنة في هذا الموضوع فمثلا في التصنيف بوب البخاري في صحيحية في كتاب الوضوء بباب فضل الوضوء وأورد فيه حديثا واحدا. بينما يستلزم للباحث في الحديث الموضوعي في موضوع عنوانه فضل الوضوء بجمع كل الأحاديث الدالة على فضل الوضوء من سائر المصنفات أو من مصنفات يشترطها لنفسه مبنية على خطة يضعها يلتزم بها يكون هدف هذا الموضوع بيان فضل الوضوء في السنة النبوية يغني عن الرجوع لأي مصدر آخر تقريبا .

6- التصنيف الموضوعي خدم العصور التي برع فيها المصنفون في هذا الفن حيث الحاجة لجمع الروايات وتدوين السنة بطريقة يستفيد منه الفقهاء والمحدثون وتكون مرجعا لكل صاحب علم إذ أن السنة مصدر للتشريع بجانب القرآن الكريم وكلاهما وحي يمثل دين الإسلام .والحديث الموضوعي جهد علمي يلبي حاجة العصر الحديث حيث كثرة العوام وقلة العلماء والمتخصصون فيقدم الحديث الموضوعي موضوعات شتى في بشكل متكامل يقدم نظرة السنة لهذا الموضوع سواء كان من الموضوعات التي تحدث عنها العلماء قديما كالعبادات والمعاملات والجهاد والسير، أم كانت موضوعات مستجدة في علوم معاصرة يؤصل الحديث الموضوعي لها تأصيلا شرعيا يبين أن السنة معجزة وأنها صالحة لكل زمان ومكان وتلبي احتياجات كل عصر .فليس الحديث الموضوعي بدعة معاصرة وإنما هي تلبية لحاجة العصر على درب العلماء الأوائل بخدمة عصورهم وتلبية حاجات أهل زمانهم للعلوم والمعارف، وهذا وذاك يؤكد على مصدرية السنة أنها من عند الله معين لا ينضب من الفوائد والعلوم .

ثالثا :أهمية الحديث الموضوعي : للحديث الموضوعي أهمية بالغة، وتتمثل تلك الأهمية فيما يلي:

1- الحديث الموضوعي ضرورة واجبة لفهم أحكام الإسلام ومراده و بدونه يصبح الفهم قاصرا وربما يعتوره الخطأ والفساد في الفهم واعتبره الدارسون في علوم السنة ضابطا أساسا من ضوابط فهم السنة بقولهم: "ومن اللازم لفهم السنة فهما صحيحا أن نجمع الأحاديث الصحيحة في الموضوع الواحد بحيث يرد متشابهها إلى محكمها، ويحمل مطلقها على مقيدها، ويفسر عامها بخاصها، وبذلك يتضح المعنى المراد منها، ولا يضرب بعضها ببعض. وإذا كان من المقرر أن السنة تفسر القرآن الكريم، وتبينه، بمعنى أنها تفصل مجمله، وتفسر مبهمه، و تخصص عمومه، وتقيد إطلاقه، فأولى ثم أولى أن يراعي ذلك في السنة بعضها مع بعض "

2- يبين الحديث الموضوعي مراد الإسلام في أي موضوع من الموضوعات ومقصد النبوة في هذا الموضوع كما ويظهر جوهر الرسالة، إذ أن القرآن نصوصه مجملة؛ بينما نصوص السنة تفصيلية وشاملة فجمع الأحاديث في موضوع معين مع التعليق عليها بما يناسب خطة الموضوع يبين نظرة السنة ومقصدها في هذا الأمر .

3- الحديث الموضوعي ترجمة تفصيلية للإسلام، قال الله تعالى(ما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام :38 : فماتركت السنة شيئا إلا وبينته بيانا كاملا في كل جوانب الحياة سواء كانت الثقافية أو العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية .

4- الحديث الموضوعي يؤكد خاصية هامة من خصائص الإسلام بأنه دين صالح لكل زمان ومكان، لأن السنة معين لا ينضب من الموضوعات التي تخاطب كل عصر وكل مكان وكل أناس، لذا فجمع أحاديث في موضوع معين من الموضوعات المعاصرة والتعليق عليها يلبي حاجات العصر ويقدم الحلول الجديدة فهو ترجمة عملية لتلك الخاصية ..

5- يساهم الحديث الموضوعي في التأصيل الشرعي للقضايا والموضوعات والعلوم المستجدة، فحينما تقدم السنة من خلال موضوعات معاصرة في علوم البيئة والطب والصحة وعلم النفس والتربية والإدارة والإعلام نصوصا مع التعليق عليه، فهي توضح أن الإسلام أصل لهذه العلوم.

6- يوفر الحديث الموضوعي الإحاطة بالموضوع إحاطة تكفل للمسلم معرفة نظرة الإسلام والسنة لهذا الموضوع فيدرك مقصد النبوة في هذا الأمر، إلا أن الإحاطة أمر نسبي تتنوع بغرض وقصد الباحث في موضوعه، فهناك من الموضوعات يقصد الباحث ألا يدع من النصوص النبوية شيئا في الموضوع، ومنهم من يأخذ نماذج تدل على مباحث خطته ولا يشترط لنفسه الإحاطة بكل النصوص، لكن شرط على الباحث ألا يدع نصوصا تؤسس وتضيف فهما جديدا لم يتصمنه بحثه، فمثلا لو أنه اختار موضوعا عنوانه: (آداب قضاء الحاجة في السنة النبوية دراسة موضوعية) فما ينبغي عليه أن يذكر بعض الآداب ويترك آخرى، بل توجب عليه الإحاطة بكل الآداب، ولكن لو لم يشترط عليه نفسه أن يجمع كل النصوص جاز له أن يأتي ببعضها التي تدل على الآداب لا أن يترك بعض الآداب؛ وإلا يعتبر موضوعه فيه نقص .

7- الحديث الموضوعي يعمل على تشكيل العقل المسلم عقلا سليما متوازنا؛ إذ أن سمت الحديث الموضوعي أن يجمع ويحيط بالنصوص كاملة في أي موضوع والسنة من خصائصها أنها متوازنة وازنت بين متطلبات الجسد والروح، وبين العمل للآخرة وعمارة الدنيا، فهي تربي المسلم على الاعتدال والتوازن في الفهم فلا إفراط ولا تفريط، بينما من تناول بعض

الأحاديث في موضوع معين دون الإحاطة بباقي النصوص فلربما فهم فهما خاطئا فكان مفرطا أو متساهلا أو متشددا ظانا إن الإسلام هو كذلك، لكن لو أنه نحا منحى الحديث الموضوعي في جمع النصوص فسيكون متوازن الفهم سديد الحكم.

8-الحديث الموضوعي يحقق للباحث والقارئ جملة من الفوائد والمعرفة في علوم الحديث المختلفة التي تخدم متن وإسناد الحديث :مثل تخريج الحديث ودراسة إسناده ومعرفة سبب ورود وإيراد الحديث، ومختلف الحديث ومشكله، وغريب الحديث وشروحه، بل والعوم الشرعية الأخرى كالتفسير والفقه والعقائد، وكذلك العلوم المعاصرة مما يتعلق بموضوع البحث .وهذه العلوم متضمنة في شرح الحديث التحليلي بشكل تفصيلي إلا أنه في الحديث الموضوعي يتعرض الباحث لهذه العلوم بما يلي ويتناسق مع خطة البحث .

خامسا:أقسام الحديث الموضوعي: يمكن تقسيم الدراسات الموضوعية للأحاديث إلى ثلاثة أقسام :

1- الدراسة الموضوعية التي تقوم على استقصاء ما في كتب السنة النبوية من أحاديث عن موضوع الدراسة.

2-الدراسة الموضوعية التي تعتمد على جمع أحاديث في موضوع الدراسة من مصادر محددة من كتب السنة تفي بالغرض، مثل قصر الدراسة على أحاديث الكتب الستة أو الكتب التسعة .

3-الدراسة الموضوعية التي تعتمد على جمع روايات حديث واحد مع در استه دراسة موضوعية، ويقوم هذا النوع من الدراسات على اختيار حديث معين يكون أصلا في دراسة موضوع محدد بحيث يكون محور هذه الدراسة استقصاء روايات هذا الحديث وطرقه من كافة مصادر السنة النبوية، ثم دراسة الموضوع الذي يتضمنه الحديث .

وفي النوع الأول :يقوم الباحث بجمع كل الأحاديث الواردة في كتب السنة أو أغلبها عن موضوع الدراسة، ثم دراسة الأحاديث المجموعة سندا ومتنا للوقوف على الأحاديث المقبولة منها وصياغة مفردات البحث في ضوء الأحاديث المقبولة، ثم جمع المادة غير الحديثية من مظانها حسب موضوع البحث سواء الشرعية منها أو غير الشرعية لتكتمل الفائدة من الدراسة، ثم ربط موضوع البحث بواقع المسلمين اليوم ليكتمل الهدف من الدراسة .

سادسا: طريقة البحث الموضوعي في السنة النبوية:

1- إختيار الموضوع: ولا تُقبل فيها إلا مواضيع متصلة بواقع الحياة واحتياجات الناس، وتأتي المجالات التربوية الاجتماعية والاقتصادية المعاشية والسياسية في مقدمتها، ولا يقبل فيها المواضيع التقليدية ولا المواضيع العامة والشاملة كالبحث في السيرة النبوية مطلقاً، والسَّبب وراء ذلك أنَّ البحث الموضوعي ينطلق من إشكالية واقعية محددة ضمن اهتمامات العصر ومواضيعه الساخنة، فيدرس فيها الباحث جميع ما أثير عنها، ويستوعب كل ما قيل فيها، ثم يعرض ما تحصَّل لديه من أفكار على الأحاديث النبوية، وعليه فإن من سيكتب في حق الطفل في التعلم في السُّنة أو الدستور النبوي أو المواطنة في العهد النبوي، سيقرأ جميع الوثائق والتشريعات التي سَنتها الأنظمة الوضعية، ويطلع على النظريات والأفكار التي عالجتها، ويتمكّن من تفاصيلها وجوانبها المضيئة والمظلمة، لتكون هذه الدراسة معيناً مهماً عند عقد الموازنات، ثم يتوجه إلى الأحاديث النبوية مفتشاً جامعاً لكل ما يتصل بموضوعه وفكرته، وهي المرحلة الثانية.

2- جمع المادة الحديثية: من خلال استقراء تام لمصادر السُّنة المعتمدة، والتوسُّع في ذلك مع التأني والصبر، والاعتماد على المطبوع والمخطوط، والاستفادة من البرمجيات الإلكترونية ومواقع الشابكة ومن سائر أدوات البحث العلمي الحديثة، ويلاحظ هنا أنه كُلَّما كان الموضوع دقيقاً محدّداً فسيسهل التوسع فيه عمودياً في مصادر السنة المتنوعة. فالبحث في "حق المرأة في التصويت في السنة والسيرة" أفضل من البحث في حقوق المرأة عموماً "في الصحيحين فحسب"، فنتائج البحث الأول ستكون أكثر عمقاً وتحديداً. وفي هذه المرحلة تبرز قدرات الباحثين في تتبع واستقراء الأحاديث المتعلِّقة بالموضوع، مهما خَفِيت أو دَقَّت درجة اتصالها والصبر على ذلك.

3- الدراسة التحليلية للأحاديث التي تجمعت لدى الباحث: والبحث في أسانيدها ورجالها من جهة، وفي متونها وألفاظها من جهة ثانية، من حيث الثُّبوتُ والدّلالةُ، ويمحّص الباحث النظر في الأحكام النقدية التي أطلقها رجال الجرح والتعديل والعلل على الأحاديث، ولا بأس أن يطيل الباحث هنا النَّفَس في قضايا الصحة والضعف والمتابعات، والرفع والوقف، وزيادات الثقات والشذوذ والإدراج، وإزالة الإشكال والتعارض الظاهري في دلالاتها، كل هذا ضمن حدود ما يخدم غاية بحثه وهو متون ودلالات الأحاديث، بمعنى أن يلجأ الباحث إلى أدوات المحدثين وما تقتضيه أصول الصناعة الحديثية، بحيث يرجِّح من الأسانيد والألفاظ والدلالات بحسب تلك الأدوات، فيكون واضحاً أمامه "القدر المشترك والمتفق" من الروايات والألفاظ التي رجّحها الباحث، بعد أن دفع التعارض والإشكال، وربط الأحكام بعللها، فتكون النتيجةُ حفظَ الوحدة الموضوعية للحديث النبوي.

4- بناءُ النظرية الشاملة التي ينتظم عقدها جميع المعاني السالفة: واستنتاجُ الموقف النبوي العام الذي تقع تحته جميعُ التَّفاصيل، وفهم الرابط الذي يجمع المفردات التي استقراها الباحث واعتمد عليها في المرحلة الثانية والثالثة، فهي المرحلة الختامية والأهم في العمل الموضوعي، والتي سيربِطُ فيها الباحثُ نتائجَ بحثه الحديثي الموضوعي، بمنطلقه الأول من النظريات الحديثة والإشكاليَّات التي ابتدأ بحثه منها، وسيعرض نتائجه التي خلص إليها، ويوضِّح الإجابة الموضوعية المستمدة من الهدي النبوي عن تلك الإشكاليّات، ويعقد الموازنات فيما بينها، مستفيداً من آراء من سبقه من الفقهاء والمحدثين والشُّراح، فتكتمِلُ بذلك عناصرُ البحث، وتصل الرحلة إلى محطتها النهائية.